1. التعريف بالمملكة:

لقد قامت إمبراطورية الصنغاي<السنغاي> (صنغي) أو"سنغي"، على أنقاض إمبراطورية مالي والذي قادها إلى القوة والعزة هو شعب صنغاي[1]، المتكون من مجموعة من القبائل الزنجية كانت تعيش أصلا في منطقة دندي على نهر النيجر الأدنى والواقعة اليوم بين شمالي البينين وغربي نيجيريا وانقسمت هذه القبائل الى قسمين قسم إشتغل بالزراعة وقسم أخر إشتغل بصيد السمك، ويعتبر النيجر الاوسط هو موطن امبراطورية الصنغاي وله دور كبير في تاريخ شمال غرب إفريقيا، فمن دندي(منطقة في النيجر الأدنى شمالي بوسا) إنتشرت قبائل الصنغاي على طول مجرى النهر الى تمبكتوا والبحيرات الكبيرة وراءها، وعاصمة إمبراطورية الصنغاي هي قاو (Gao)، التي التي تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر حيث يتصل به وادي تلمسي (Tilmsi) الذي ينحدر إليها من قلب الصحراء، وهاته المدينة كانت قائمة في القرن الثالث هجري ،ومدينة جاو يسميها العرب بلاد كوكو، وقد عرفها جغرافيو العرب مند القرن التاسع عشر(الادريسي، البكري ،حسن الوزان الدي وصفها وصفا دقيقا)،وأصبحت قاو العاصمة مند القرن الحادي عشر فقط(1009م)أما قبل دلك فقد كانت العاصمة هي مدينة كوكيا.

وعن أصل صنغاي فقد أورد صاحب مخطوطة زهور البساتين، معلومات مفادها أن جد سنغاي كان أبوه من ملوك اليمن إسمه" تراس بن هارون، ويقول إسماعيل العربي "إدا تركت بعض الأساطير جانبا فإننا نلاحظ أن الرواية التاريخية تجعل الملك ديا كوسوا(cassoi)الخامس عشر هو أول ملوك الصنغاي" والذي إتخد مدينة قاو عاصمة للمملكة.

2. المملكة قبل عهد الأسكيين:

تعتبر أسرة "ديا" هي أول أسرة ملكية في جاو تعتنق الإسلام ومند هاته الفترة أي منتصف القرن الثالث عشر، سوف ينتشر الإسلام إنتشار واسع في المملكة بفضل نفود المرابطين في الصحراء عموما وبفضل توغل التجار في المنطقة، وفي سنة 1010م أسس الملك "كوزي KOSI " الذي اعتنق الاسلام

[1] **الصنغاي** هي قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد ،ثم أخدت تنتقل الى الشمال مع النيجر، وفي القرن السابع الميلادي كانت تمتد مساكنها حول النيجر بحوالي 150كلم ،وتمتهن صيد الأسماك وزراعة الدخن ،ثم أصبحوا يتوزعون بين جمهورية النيجر ومالي ، وفي المناطق المحيطة بقاو. أنظر: عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر د ت ، هامش رقم 01، ص25.

أول عاصمة للمملكة، وأصبح من المعتاد بعدئذ أن يكون حاكم قبائل الصنغاي من المسلمين، وقد أصبحت (جاو) العاصمة مركزا تجاريا هاما في تلك المنطقة، وخلال الفترة بين 1464- 1493م تولى "علي سني " العرش، كان يلقب علي الكبير الذي إستنجد به سلطان الماندج (الماندي) المالي حين عجز عن إعادة النظام إلى تمبكتو ضد الطوارق[2]، وقد وصفه السعدي بقوله:" أما الظالم الأكبر الفاجر سني علي فإنه كان دا قوة عظيمة ومتنة جسيمة ،ظالما فاسقا متعديا ومتسلطا سفاكا للدماء، قتل من الخلق ما لا يحصيه إلا الله تعالى وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة والإدلال"، وقد مكث في المملكة حوالي ثمانية وعشرون سنة ،فاشتغل بالغزوات وفتح البلادات، وحول رغم سمعته السيئة مملكته الصغيرة إلى إمبراطورية ضخمة حكمت جزءا كبيرا من السودان الغربي لكن هذا الشعب لم ينتظر طويلا حتى جاءهم نبأ وفاة سني علي في 1492م، والخلاص من الطغيـان الـذي أرهقهم زمن طويل.

فتولى الحكم من بعده إبنه بكاري الذي كان ضعيفا وفاشلا بقي في الحكم سوى سنة واحدة وسبب دلك أنه إرتد عن الدين الإسلامي، ففي سنة 1493م إعتاض حاكم هامبوري الذي كان من ضباط علي سني ،وينتمي الى قبائل التكرور، وإسمه محمد طورود إستنكر إرتداد بكاري عن الإسلام وقام بانقلاب بمساعدة العلماء، وبسقوط بكاري (أبو بكر) إنتهى حكم أسرة صنغاي الملكية التي حكمت البلاد نحو ثمانية قرون، وقامت في مكانها أسرة "الأسكيين"[3] من زنوج السوننكي [4].

3. الصنغاي في عهد الأسكيا محمد الكبير:

الأسقيا أو<الأسكيا> محمد الأول سراكولي الأصل ،كان أجداده قد هاجروا من الجنوب الموريطاني الحالي حينما إضطربت الأمور في مملكة غانا عند نهاية القرن الحادي عشر ،وقد سكنت عائلته

---

[2] يعرفون عند العرب باسم :الملثمين الدين يقطنون الصحراء ،ويمتد توزيعهم من منطقة التوات و حتى تمبكتو، ومن فزان الى زندر ويضم الطوارق عدد من القبائل تتكلم لغة واحدة تسمى لغة التماجغ TEMAGIGH،وينقسموا الى عدة أقسام. أنظر: جون دوني فيج ،**تاريخ غرب إفريقيا**، ت يوسف نصر، دار المعارف القاهرة،ط1، 1982، ص82.

[3] أسكيا أو الأسكيين لقب أطلق على ملوك صنغاي بعد تولي محمد الكبير الحكم، معناه في كلامهم لا يكون أياه ، (اي لا يكون ملك)، كما تلفظت به بنات سني، فأمر أن يطلق هذا الاسم عليه كما أورده السعدي. إلا أن شلبي، يعطي معنى أخر لكلمة أسـكيا فيقول أن معناها "غضـب و قاهر" وقد سمي محمد نفسـه به هكذا ،كي يقهر كل الأعداء. أنظر: السعدي المصدر السابق ص72.

[4] **السـوننكي** :هي أحد فروع قبيلة الماندينغ الزنجية ،والتي تعتبر أكبر قبائل غرب إفريقيا وأكثرها انتشـارا. ويعتبر السـوننكي الحجر الأسـاس في سـكان مملكة غانا. أنظر محمد علي باري وسـعيد إبراهيم كريدية، المرجع السـابق، ص115.

حول النيجر الأوسط و إمتزجت في قبيلة سنغاي، وقد بدأ عهد التوسع لهده الإمارة مند حوالي سنة 1336م، وأصبح الأسقيا محمد أحد الضباط البارزين في جيش الأمير سني علي، ويقول عبد الرحمن السعدي ،بعد هروب سني أبو بكر وتوفي ،"تملك الأسعد الأرشد، وكان أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، ولما بلغ الخبر بنات سني علي، قالت أسكيا ،معناه في كلامهم لايكون أياه ، (اي لا يكون ملك) فلما سمعه أمر أن لا يلقب إلا به ، فقالوا أسكيا محمد. وعرف بمحمد أبو بكر، وكدلك " بمحمد الطوري" من قبيلة السوننكي' إلا أن شلبي، يعطي معنى أخر لكلمة أسكيا ، فيقول أن معناها "غضب و قاهر" وقد سمي محمد نفسه به هكذا كي يقهر كل الأعداء ، وأصبح أسكيا لقب كل الملوك حتى سقوط الإمبراطورية.

وتجمع أغلب المراجع على أن أقصى إتساع بلغته سنغي السلامية في عهد الأسقيين ،كان في فترة حكم الأسقيا محمد الكبير ، فقام الأسقيا محد الكبير بعد توليه الحكم ، بالإستيلاء على جميع ممتلكات سني أبو بكر داعو (بارو) وهدا ما يأكده محمد كعت "...الوارث أسكي محمد المدكور جميع أراضي شي بار (سني أبو بكر)" ومن هده الممتلكات التي ورثها غينيا (جنى) ولم تقف حدود مملكة السنغي عند الحد الدي كانت عليه في عهد آل سني ،بل قام الأسقيا محمد الكبير بتوسعات كثيرة جعلت حدود مملكته تمتد من بلاد الهوسا شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ،ومن أدغست وتغزة شمالا إلى قبائل الموسى جنوبا .

أما من الجهة الشرقية فقد إمتدت يد جيوش الأسقيا محمد الكبير الى الممالك الهوساوية بالسودان الأوسط مثل مملكة كانو' وهدا ما أكدته نصوص كتاب وصف إفريقيا "...أعلن الحرب على ملك كانو ،وأرغمه بعد حصار طويل على أن يتزوج إحدى بناته ،ويؤدي له (أي الأسقيا محمد الكبير)ثلث مورده كل سنة، ويترك في المملكة عددا من الأمناء والجباة لاستشفاء حقه من الضرائب"، وكدلك الحال بالنسبة لمملكتي كاتسينا و زكزك اللتان يقول عنهما أنه كان في القديم ملك يحكمهما ،لكن الأسقيا قتله وأفنى نصف الشعب وتمكن من المملكة وهو كدلك بالنسبة لزنفري ،أما من جهة الغرب فإنه دكر أنه إستولى على بقايا مملكة مالي.

4. العلاقات السياسية لدولة الصنغي:

ادا تطرقنا للعلاقات السياسية لمملكة صنغاي، فيمكن القول إن هاته العلاقات في البداية لم تخرج عن كونها علاقات تبادل تجاري وفكري، أكثر من أن تكون علاقات سياسية. وقد إرتبطت صنغاي بعلاقات قوية مع بلدان المغرب العربي ،وسكان وادي النيل ووصلت لها جميع البضائع من أوروبا ،ومن الشرق ومن بلاد المغرب ،لأن الإتصال بهده البلاد كان مهما ولدى تأثر السكان بحضارة بلاد المغرب

،وأخدو الإسلام على المدهب المالكي، وتعاطو الكتابة على الطريقة المغربية ،وكان في كل مدينة من مدن صنغاي الكبرى مثل تمبكتو، وقاو ،وجنى وغيرها من المدن ،جالية مغربية كبيرة ،تتكون من الفقهاء والعلماء والمدرسين والوعاظ، والدعاة والتجار ،وكثر الوافدون من المغرب ومصر ،وباقي دول العالم الإسلامي ،ومن الناحية كلما أرادو الإتصال بامير أو ملك لبلد أجنبي أجنبي وكانت تلك الوفود تحمل هدايا ثمينة وتستقبل على الأغلب في إحتفال عظيم يتصدره الأمير أو الملك.

و كانت العلاقات السياسية تدخل تحت الإدارة غير مباشرة ،التي تعني بالبلدان التابعة والخاضعة وكان زعيم أي من هده البلدان ينصب وفقا للتقاليد المحلية ،ويعترف الأسقيا بهدا التنصيب غير أنه قد تحدث إعتراضات من جهة الطامعين في المنصب ،أو قد تنشب ثورات ضد السلطة الإمبراطورية ،وكان الأسقيا يتدخل في هده الحالات ويفرض مرشحه ،وكانت دولتا الهوسا(كانو، وكاتسينا) ومملكة أغاديس وإمبراطورية مالي ،وإتحاد طوارق"الإنتسار"،وإتحاد طوارق المغشارن"،كانت كلها من فئة هذه الدول التابعة أو الخاضعة بدرجات متفاوته حسب إتجاه سياسة غاو، وكان الحكام يدفعون الجزية بإنتظام ويقدمون فصائل في جيوشهم ،إدا طلب الإمبراطور دلك منهم ،ويقيمون العلاقات الطيبة عن طريق الزيارات، والهدايا والمصاهرة ، وعلى سبيل المثال في هاته العلاقات ،يدكر حسن الوزان ،"أن ملك فاس أرسل عمي سفيرا الى ملك تمبكتو(ويقصد بدلك الملك الأسقيا محمد الكبير)" ، وكدلك حرى أيضا إرسال وفد بمجرد عودة الأسكيا محمد الكبير من الحج إلى ملك الموسي يدعوه فيها للدخول للإسلام، لكنه لم يستجب فحاربه.

5.رحلة الأسقيا محمد الكبير الى الحج:

بعد إدخال الأسقيا عدة إصلاحات، فجعل الخدمة العسكرية تنفصل عن العمل المدني، وأصبح الجيش يتوفر على نظام مستقر ،وبدلك لم تعد سارية المفعول ،كما كان الشأن في العهد القبلي السابق، بعدها رحل الى الحج في موكب حافل وكان الهدف الذي يسعى إليه محمد الأول من ذلك ،هو إكتساب المكانة السياسية على أساس شرعي في أعين رعياه.

وهناك إختلاف طفيف في تاريخ رحلة الحج التي قام بها الأسقيا محمد الكبير، وعدد الجيش الدي أخده معه ،ويتحدث السعدي في هدا الشأن فيقول:" ...وفي السنة الثانية من القرن العاش(902هـ،1496م) ر مشى إلى الحج في شهر الصفر (صفر) واله أعلم ،فحج بيت الله الحرام مع جماعة من أعيان كل قبيلة ...والجند الدي دهب بهم معه ألف وخمسمائة رجال خمسمائة فرسان وألف

رجل منهم إبنه أسكيا موسى وهك و كرى كرى، وعلي فلن ،وأما المال فثلاثمئة ألف دهبا الدي أخده عند الخطيب عمر من مال سني علي".ويقول مودي سيسوكو أن رحلة الحج التي قام بها الأسكيا سنة 1496،م1497م ،لم تكن بدافع التقوى ،بل كانت لدوافع سياسية، وإصطحب معه 800 فارس وعدد كبير من علماء الدين، والفقهاء منهم ،ألف صالح جور و ألفا محمد تل و (محمود كعت) صاحب تاريخ الفتاش، هدا الأخير يقول أنه كان مع الأسكيا ثمانمئة عبد .

ورحلة الحج عند ملوك السودان، لايقوم بها الا السلطان القوي، لإبراز القوة أمام ملوك وحكام القبائل الأخرى، وكان هدف الأسكيا، إطلاع شمال إفريقيا والشرق العربي على السودان الغربي وما هو عليه من الثراء، ولعل أهم سبب هو محاولة حصوله على لقب أمير المؤمنين، والقصة التي أوردها محمود كعت مع الجني شمهروش، والفقيه ألفا صالح جور ،كفيلة بإسناد هده المعلومة.

ونزل بالقاهرة ،حيث زار قطبا من أقطاب الإسلام هو الشيخ السيوطي شيخ الأزهر الدي نصحه بما يجب أن يكون عليه الحكم ، للإستفادة من تجارب الحكم في القاهرة، وكان في كل بلد يمر به كان يستأدن في الدخول من أميرها ثم ينفق بسخاء لم تعرف تلك البلدان مثيله، وقد تحدث المقريزي عن أثر تلك النفقات ،وقد أنفق في حجه ثلاثمئة ألف قطعة من الدهب ،ومائة ألف لتكاليف سفره مع حاشيته وأنفق منها مئة ألف أخرى كصدقات لفقهاء مكة والمدينة ،وأشترى منها قطعة أرض ومبنى يأوي إليه حجيج بلاد السودان وأوقفه عليهم أما المائة الباقية أنفقها في شراء حاجات و هدايا من أسواق مكة والقاهرة "...ولقي في دلك الأرض المبارك الشريف العباسي فطلب منه أن يجعله خليفته في أرض سنغى فرضى له بدلك وأمره أن يسلم في أمرته التي هو فيها ثلاث أيام ويأتيه في اليوم الرابع ففعل وجعله خليفة وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة من عنده فكان خليفة صحيحا في الإسلام ...ورجع في السنة الثالثة، فملك من أرض كنت إلى البحر المالح في المغرب وأحوازها ،ومن حد أرض بندك إلى تغاز وأحوازها "، هكدا فإنه لما رجع لصنغاي سنة 1497م متوجا بلقب أمير المؤمنين، كانت جميع الإعتبارات الأدبية لإستمراره في الحكم عن جدارة وإستحقاق قد إكتملت له في أعين رعاياه ،وأعطته هيبة و دفعا قويا ولدلك فإنه إنصرف إل الفتح والتوسع بمجرد رجوعه وبدأ بالإعداد للغزو والفتح لبلاد الموسى والوثنيين و قسم من بلاد مالي ثم إلى الشرق الجنوبي، فواصل الأسقيا محمد الكبير ما أنجزه سني علي في توسيع المملكة فأخضع مسينا وديارا (غارا) وفرض سلطانه على الصحراء حتى مناجم تغازة وفتح أغادير ومدن الهوسا (كاتسينا وكانو) ،وهاجم شعوب الجنوب الباريبا و الموسى، والدوجون لكنه لم ينجح في إخضاعهم ،وفضل

فتحاته قوى إمبراطورية الصنغاي و إمتد بها حتى أطراف دندي إلى سيبيريد وجنوب سيغو ومن تغازة حتى حدود ياتنقا.

6. التنظيمات الإدارية والحربية لدولة صنغاي:

تجمع كل المراجع أن صنغاي كانت تحظى نظام إداري ممتاز، وأن الأسكيا محمد الكبير أعاد تنظيم الدولة ،وقد شملت هاته التنظيمات الدقيقة النواحي المالية و النواحي العسكرية ،والعلاقات القبلية وكانت كلها ترمي لتحقيق وحدة قوية من الأجزاء المختلفة للدولة و القضاء على السلطة القبلية وكان عماد التنظيم الجديد هو المركزية في مجال الشؤون الرئيسية و التشريعية و الامركزية، أو الحكم المحلي الأمور الثانوية و التنفيذية.

أ. على مستوى المركزي (الحكومي):

بعد ما قام الأسكيا محمد الكبير بتكوين نيابة للملك ،التي مقرها وسط البلاد في تندرم تحت حكم أحد إخوته (عمر كمزاغ)، عمد، إلى تطوير النظام الإداري لدولة صنغاي الدي يعتبر أعظم شيء قام به خلال فترة حكمه ،بحيث دفع الدولة دفعة قوية نحو الحكم المركزي فقد وضع نظام إداري ممتاز بدعم من الزعماء المسلمين والتجار، كوسيلة من وسائل توحيد هده الإمبراطورية المترامية الأطراف وقام بربطها مع بعض ،وقد نظم هدا التنظيم بإنشاء عدد من الوزرات المركزية للشؤون المالية وشؤون الجيش وشؤن لقضاء والشؤون الداخلية وشؤون الزراعة والغابات ،وكدلك إنشاء وزارة خاصة للشعب الأبيض أي المغاربة والطوارق الدين كانو يعيشون على الحدود الصحراوية للإمبراطورية، كما إستحدث إدارة لجباية الضرائب في جاو ،وجعل الدفع عينا ،وأنشأ الدواوين العسكرية والسياسية و الإدارية ،وحدد إختصاصاتها تحديدا دقيقا، وأقام حكومات إقليمية ،ونصب القضاة وعين الشرطة، و قام بوضع جهازا قويا للأمن في مملكته وأدخل مراكب في نهر النيجر ،لتقوم بأعمال الدورية و الحراسة ، كما أنشأ مجلس للعائلة المالكة ،هذا الأخير قام بمنحه سلطات تنفيدية هامة في الدولة.

ب. على المستوى الإقليمي:

إن المساحة الشاسعة التي أصبحت تحتلها دولة صنغاي في عصر الأسكيا الكبير فرضت عليه النظر في هاته النقطة لأنه إذا لم يوجد تنظيم محكم لها ، لن يمكن المملكة من الإستمرار فعمد الأسكيا إلى تنظيمها على المستوى الإقليمي ،وألغى بدلك الطريقة القديمة في توكيل رؤساء القبائل مقابل الإحتفاظ

بأولادهم كرهائن فقسم الإمبراطورية إلى عدة ولايات ،وعهد بكل ولاية منها إلى والي معتمد من العاصمة مباشرة ،وقد إختار الولاة في عهده من بين أقربائه وعبيده المخلصين له، وهناك إختلاف بين المؤرخين في تحديد الولايات، وعددها ،فعبد القادر زبادية قسمها إلى ستة ولايات أما علي باري وإبراهيم كردية فقسموها إلى أربع ولايات ،لكن المبروك الدالي قسمها إلى إثنى عشر ولاية ،وإثى عشر إقليم.

كان منصب القضاء في عهد الأسكيين صعبا ،يرفضه أهل التقوى والورع ،خوفا من إصدار حكم جائر عن غير قصد فينالهم العقاب الرباني ،ويعتبرون تولي القضاء كارثة عليهم وقد يجبر السلطان الفقيه على تولي أمر القضاء ،وكانت مكانة القضاء عند سلاطين السودان الغربي مرموقة، وكان صريحا أمام الخاصة والعامة وحتى مع السلطان نفسه، فإذا أخطأ هدا الأخير يزجره ولا يعبأ بمنصبه، ويشير كل من السعدي وكعت وأحمد بابا مرات عديدة إلى أن القاضي كان كثيرا ما يستشيره الملك ويطلب منه النصيحة ، أما كلمته فهي مسموعة لدى السلطة، فقد حدث عدة مرات أن أحد القضاة يرفع عقيرته بالإحتجاج أمام الملك ،وعلى مسمع من الجمهور، فيرضخ الملك ويترجى من القاضي العفو وحسن النصيحة إذن فإن القاضي كانت له مكانة رفيعة في دولة سنغاي ،وأن القضاة قد فرضو إحترامهم على السلطة والجمهور من الإستقامة التى كانوا عليها.

كان الجيش في سنغاي يتمتع بمكانة محترمة في البلاد ،وقد اكتسب هذه المكانة من اعتماد السلاطين الكلي على وجوده في فتوحاته ،وكان التجنيد إجباريا على كل فرد قادر على حمل السلاح ،وهذا في عهد سني علي، وفي أيام الأسكيا الحاج محمد دخل جيش سنغاي في دور التنظيم ، فأصبح في معظمه يتكون من المتطوعين، الذين يعملون في الجيش بشكل دائم وقد قسمه إلى أقسام حسب الأسلحة التي كان يستعملها، وقد أوضح الأسكيا محمد الحدود بين الوظيفة المدنية والعسكرية، باعتباره القائد الأعلى للجيش، ورئيس السلطة العسكرية بالإضافة إلى السلطة المدنية ،بحد قول السعدي "...وميز الأسقيا الأول الخلق بعدما كان الكل فب أيام الخارجي جنديا بين الرعية والجيش "، أيضا فقد أولى الأسكيا عناية واسعة بالجيش الأمر الدي جعله يقوم بتنظيمه تنظيما جيدا دقيقا، وتدريبه تدريبا كاملا، وطور أسلحته حتى أصبح من أقوى جيوش ذلك العهد وعين بمكان القيادة فيه خيرة العسكريين الدين إتجهو في إهتمامهم إلى الدولة بإخلاص بعيدة عن الأنانية ،وقام أيضا بتقسيمه إلى عدة فرق هي:

فرقة المشاة، فرقة الفرسان، فرقة سلاح (الخيالة)، فرقة الطوارق، فرقة العبيد.

وكان لسنغاي جيش بحري على النيجر ،وأهم قواعده كانت في غاو وتنبكتو ،وأول من وضع النواة الأولى له هو سني علي ،وكانت السفن تقوم بنقل الجنود و العتاد الحربي ،عبر نهر النيجر لمختلف مراكز الجيش ، وأسلحتهم تتمثل في النبال، وكانت سفنهم طويلة ،وأغلبية أفراد هدا الأسطول هم العبيد الدين يقومون بالتجديف ،وخدمة الجيش الدي عل ظهر السفن

7. اقصاء الاسكيا محمد الكبير من الحكم ونهاية صنغاي:

وبعد تقدم الأسكيا في السن، وضعفت جسمه وفقد بصره عام 1519، وفي 1528 قام أبناء أسكيا محمد بالثوران عليه، فأجروه على التخلي عن الحكم لإبنه موسى، وهناك إختلافات في السنوات التي قضاها في الحكم، فكعت يذكر أنه مكث تسعة وثلاثين سنة وفي رواية أخرى ثلاثة وأربعين، أما السعدي فذكر أن مدة حكمه، ست وثلاثين سنة وست أشهر، فعلى الرغم من هذا المجد الشامخ الذي بناه أسكيا الحاج محمد، على أكتاف رجال مملكة سنعاي إلا أن نهايته كانت جد مؤثرة بإقصائه من الحكم على يد إبنه الأكبر موسى، بطريقة تنم على الإنحطاط الذي أصبح في سلوكات أسرة الأسكيا، وقد كانت أول الأعمال التي قام بها الأسكيا موسى بعد توليه الحكم، نفي والده إلى جزيرة نائية مليئة بالأوساخ من ناموس وضفادع كما أوردها السعدي.

وكان عنيفا سفاكا للدماء، ولم يلبث إلا وقت قصير قبل أن يغتال ويحل محله الأسكيا محمد الثاني(بونكان كواري) 1531-1537م، الدي كان شجاعا لكنه محب للبذخ ،ثم بعده الأسكيا إسماعيل 1537-1539م، الدي حل في عصره وباء خطير حصد نسبة معتبرة من السكان، ثم جاء بعده الأسكيا داود، وتوالى الضعف والإنحلال في عهد محمد الثالث 1592-1586، ثم جاء آخر ملوك صنغاي إسحاق الثاني 1588-1591م، ومند أن تخلى الأسكيا محمد الكبير عن الحكم لإبنه موسى 1591، أخدت أركان الدولة تتصدع فالملوك الدين جاؤوا بعده، أقل مايقال عنهم أنهم يمتازون بالقسوة و الأنانية والفجور وراحو يقتل بعضهم بعضا، أو يشبعون مطامعهم وشهواتهم، تلك الفوضى التي دبت في مملكة سنغاي، هي التي شجعت سلطان المغرب آنداك "أحمد المنصور" للتدخل في شؤون هذه المملكة، ثم القضاء عليها فيما بعد.

وهكذا إنهارت الدولة فعليا قبل وصول جيش المنصور السعدي، وما فتنة بلمع صادق إلا عنوانا لها يقول الكعت:"إنها سبب فناء صنغاي، وفتح باب الشر بينهم، وسبب فساد ملكهم، وقطع سلك دولتهم

إلى أن نزلت محلة أهل مراكش بهم " ويقول في مكان آخر :وهذه الفتنة هي أول خسارتهم وهلاكهم وفنائهم، قبل مجيء أحمد الذهبي، وهي سبب خراب بلد "تندرم" عاصمة الجزء الغربي.